

خلاصة القول:

- هذه القصة الرائعة الجميلة تقدم منهجية تربوية فريدة لمن أراد أن يتصدى المهمة التربوية:
- أن يكون المرابي على درجة عالية من العلم والصلاح والرحمة والرفق.
 - أن يتحلى طالب العلم بالتواضع وضبط النفس والتوقير والاحترام وعدم الاستعجال.
 - التحضير النفسي والعقلي أساسى في العملية التربوية.
 - تنجح العملية التربوية بالأحداث والاختبارات و المواقف العملية فتؤدي إلى اكتشاف شخصية الطالب وصقل مواهبه وتنمية معارفه وتنويع أفكاره .
 - أن تتميز العملية التربوية بتعلم القيم الأخلاقية وليس لتكوين المهارات والمعارف المجردة وحدها.

آثار المعاصي والذنوب

• معاروفى



للمعاصي من الآثار القبيحة المدمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله فمنها:

حرمان العلم فإن العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفىء ذلك النور (1)
فأرشدني إلى ترك المعاصي وقال الشافعي رحمه ا: شكوت إلى وتبع سوء حفظي
لله

وفضل الله لا يوتاه عاصي وقال اعلم بأن العلم فضل
حرمان الرزق وفي المسند "إن العبد لبحرم الرزق بالذنوب بصيبه (2)
كما أن تقوى الله مجلبة للرزق فترك التقوى مجلبة للفقر فما استجلب رزق بمثل ترك
المعاصي

وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة أصلا ولو (3)
اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة وهذا أمر لا يحس به إلا من في
قلبه حياة وما لجرح ببيت إيلام فلو لم تترك الذنوب إلا حذرا من وقوع تلك الوحشة
لكان العاقل حريا بترتها

وشكا رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال له
فدعها إذا شئت واستأنس إذا كنت قد أوحشتك الذنوب

(4) الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس ولا سيما أهل الخير منهم فإنه يجد وحشة بينه
وبينهم وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرمة البركة الانتفاع بهم وقرب
من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحکم
فتقع بينه وبين امرته وولده وأقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه وقال
بعض السلف إنني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي

تعتسير أموره عليه فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقا دونه أو متعسرا عليه
وهذا كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسرا فمن عطل التقوى
جعل الله له من أمره عسرا وبالله العجب! كيف يجد العبد أبواب
الخير والمصالح مسدودة عنه متعسرة عليه وهو لا يعلم من أين أتى؟
(5) ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم
ادلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فإن الطاعة نور
والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في
البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر كأعمى خرج في ظلمة
الليل يمشي وحده وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ثم تقوى
حتى تعلق الوجه وتصير سوادا فيه حتى يراه كل أحد

قال عبد الله بن عباس: "إن للحسنة ضياء في الوجه ونورا في القلب
وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة
سوادا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق
وبغضة في قلوب الخلق"

ومنها: أن المعاصي توهن القلب والبدن أما وهنها للقلب فأمر ظاهر بل
لا يزال توهنه حتى تزيل حياته بالكليّة
وأما وهنها للبدن فإن المؤمن قوته في قلبه وكلما قوى قلبه قوى بدنه وأما
الفاجر فإنه وإن كان قوى البدن فهو أضعف شيء عند الحاجة فتخونه
قوته عند أحوح ما يكون إلى نفسه وتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف
خانتهم عند أحوح ما كانوا إليها وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم؟

(6) حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنوب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة
تكون بدله وتقطع طريق طاعة أخرى فينقطع عليه طريق ثالثة ثم رابعة
وهلم جرا فينقطع عليه بالذنوب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير له
من الدنيا وما عليها وهذا الرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة
منعته من عدة أغلات أطيب منها والله المستعان

(7) أن المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولا بد فإن البر كما يزيد في
العمر فالفجور يقصر العمر

(8) أن المعاصي تزرع أمثالها وتولد بعضها بعضا حتى يعز على العبد
مفارقتها والخروج منها كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة
السيئة بعدها وأن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها.....

لا يزال العبد يعاني الطاعة وبألفها ويجها ويؤثرها حتى يرسل الله
سبحانه وتعالى يرحمته عليه الملائكة تؤزّه إليها أزا وتحرضه عليها وترعجه
عن فراشه ومجلسه إليها ولا يزال يألف المعاصي ويجها ويؤثرها حتى
يرسل الله عليه الشياطين فتؤزّه إليها أزا فلا أول قوى جند الطاعة
بالمدد فصاروا من أكبر أعوانه وهذا قوى جند المعصية بالمدد فكانوا
أعوانا عليه.



9) أنها تضعف القلب عن إرادته فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية فلو مات نصفه لما تاب إلى الله فيأتي بالاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير وقلبه معقود بالمعصية مصر عليها عازم على موافقتها متى أمكنه وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك

10) أنه يسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستفتح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه وهو عند أرباب الفسوق هو غاية التفكه وتام اللذة حتى يفتخر أحدهم بالمعصية ويحدث بها من لم يعلم أنه عملها فيقول: يا فلان عملت كذا وكذا وهذا الضرب من الناس لا يعافون ويسد عليهم طريق التوبة وتعلق عنهم أبوهم في الغالب كما قال النبي ﷺ: "كل أمتي معافا إلا المجاهرين وإن من الإجمار أن يستر الله العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول: يا فلان عملت يوم كذا وكذا وكذا فتهتك نفسه وقد بات يستره ربه"

11) أن كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمة من الأمم التي أهلكتها الله عز وجل فاللوطية ميراث عن قوم لوط وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالناقض ميراث عن قوم شعيب والعلو في الأرض بالفساد ميراث عن قوم فرعون والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود فالعاصي لابس ثياب بعض هذه الأمم وهم أعداء الله

12) أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه قال الحسن البصري: هانوا عليه فصعوه ولو عزوا عليه لعصمهم وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد كما قال الله تعالى: {وَمَنْ يَنْهَ عَنْهُ قَالَ اللَّهُ قَدْ كُنَّ مِنْكُمْ جِثَّةٌ وَإِنَّ عِظْمَهُمْ فِي الظَّاهِرِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمْ أَوْ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِمْ فَمَنْ فِي قُلُوبِهِمْ أَحْقَرُ شَيْءٍ وَهُوَ

13) أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه وتضعف في قلبه وذلك علامة الهلاك... وقد ذُكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود قال: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار"

14) أن غيره من الناس والتواب يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم قال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: منعتنا القطر بذنوب بني آدم. فلا يكفيه عقاب ذنبه حتى ييؤ بعينه من لا ذنب له 15) أن المعصية تورث الذل ولا بد فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى قال تعالى: {لَنْ يَكُنَّ رِيْدُ الْعِزَّةِ لِقَلِيلِ الْعِزَّةِ جَمِيعًا} أي فليطلبها بطاعة الله فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله وكان من دعاء بعض السلف: "اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلي بمعصيتك"

قال الحسن البصري: إنهم وإن قطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم أي الله إلا أن يذل من عصاه

وقال عبد الله بن المبارك رأت بيت الذنوب تميمت القلوب وقد يورث الذل إدمانها وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها وهل أفسد الدين إلا الملوك وأخبار سوء ورهبانها؟

16) أن المعاصي تفسد العقل فإن للعقل نورا والمعصية تطفيء نور العقل ولا بد وإذا طفيء نوره ضعف ونقص وقال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله

17) أن الذنوب إذا كثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين كما قال بعض السلف: في قوله تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} قال هو الذنب بعد الذنب وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب وقال غيره: لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم

وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقللاً وخبثاً فيصير القلب في غشاوة وغلظ فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انكس فصار أعلاه أسفله فيتمتد يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد.

18) أن الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ فإنه لعن على معاصي والتي غيرها أكبر منها فهي أولى بدخول فاعلمها تحت اللعنة فلن الواثمة والمستوشمة والواصلة والموصولة والنامصة والمتنصصة والواشرة والمستوشرة ولعن أكل الربا وقد لعن الله "في كتابه" من أفسد في الأرض وقطع رحمه وأذاه وذى رسوله ﷺ ولعن من كتم ما أنزل الله

19) حرمان دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة فإن الله سبحانه أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وقال تعالى: {الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

فهذا دواء الملائكة للمؤمنين التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسوله الذن لا سبيل لهم تيرها فلا يطع غير هؤلاء بإجابة هذه الدعوة إذا لم يتصف بصفات المدعو له بها والله المستعان

20) أنها تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهوى والزروع والثمار والمسائن قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} قال مجاهد: إذا ولي الظالم سعى بالظلم "والفساد" فحبس الله بذلك القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ثم قرأ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} ثم قال: أما والله ما هو بحر كما هو هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر وقال عكرمة: ظهر الفساد في البر والبحر أما إني لا أقول لكم: بحر كما هو هذا ولكن كل قرية على ماء وقال قتادة: أما البر فأهل العمود وأما البحر فأهل القرى والريف

21) أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي حياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن فالغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكبر خبث الذهب والفضة والحديد وأشرف الناس وأعلامهم وهمة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس ولهذا كان النبي ﷺ أغير الخلق على الأمة والله سبحانه أشد غيرة منه كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: "أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه والله أغير مني"

22) ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: "الحياء خير كله"

23) أنها تضعف في القلب تعظيم الرب ﷻ وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد شاء أم أبى ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجر على معاصيه

24) أن يرفع الله عز وجل محابته من قلوب الخلق ويهون عليهم ويستخفون به كما هان عليه أمره واستخف به فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس وعلى قدر خوفه من الله يخافه الخلق وعلى قدر تعظيمه الله وحرمانه يعظمه الناس ويثبتهك عبد حرمان الله ويطمع أن لا يثبتهك الناس حرمانه؟ أم يثبتهك الله ولا يهونه الله على الناس؟ أم يثبتهك يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق

25) أنها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه وهناك الهلاك الذي لا يرجي معه نجاة قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}

وأعظم العقوبات نسيان العبد لنفسه وإهمالها وإضاعته حظها ونصيبها من الله وبيعته ذلك بالغبن والهوان وأجس الثمن فضيع من لا غنى له عنه ولا عوض له منه واستبدل به من عنه كل الغنى أو منه كل العوض.

من كل شيء إذا ضيعته عوض وليس في الله إن ضيعت من عوض

26) أنها تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمتعه ثواب المحسنين فإن الإحسان إذا باشر القلب متمعه عن المعاصي فإن من عبد الله كأنه يراه لم يكن ذلك إلا لاستيلاء دثره ومحبتة وخوفه ورجائه على قلبه بحيث يصير كأنه يشاهده وذلك يحول بينه وبين إرادة المعاصي فضلا عن موافقتها.....

27) أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة أو تعوقه أو تقطعه عن السير فلا تدته بخطوة إلى الله خطوة هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه فالذنب يجذب الواصل ويقطع السائر وينكس الطالب والقلب إنما يسير إلى الله بقوته فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره فإن زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعا يعبد تداركه والله المستعان

ولقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها	فإن الذنوب تزيل النعم
وخطها بطاعة رب العباد	فرب العباد سريع النقم
وأياك والظلم مما استطعت	فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى	لتبصر آثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم	شهود عليهم ولا تتهم
وما كان شيء عليهم أضر	من الظلم وهو الذي قد قصم
فكم ترؤوا من جنان ومن	قصور وأخرى عليهم أطم
صلوا بالبحيم وفات النعم	وكان الذي نالهم كالحلم



28) أنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب ولا حلت به نعمة إلا بذنب كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة" وقد قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}